الفصل الرابع
القرآن الكريم وألوهية المسيح عليه السلام والبشارة بمحمد صلى اللّه عليه وسلم

المبحث الأول: القرآن الكريم وألوهية المسيح عليه السلام

بعد حديث المسيحيين عن ألوهية المسيح من خلال الكتاب المقدس؛ يتخذ المسيحيون أيضا من القرآن دليلا على ألوهيته عليه السلام، وهذا لم يأت من فراغ وإنما بهدف التأثير على المتلقي البسيط، وزعزعة عقيدته.

يقول حبيب سعيد: "الاسم "كلمة الله" للمسيح في القرآن هو نفس الاسم في الإنجيل- آل عمران45- قابله بيوحنا1/1"[1]. ويضيف آخر قائلا: "غير أن المسلمين، بالرغم من إطلاق لفظة الكلمة على عيسى، لم يعطوها حقها، ولم يستخرجوا معانيها اللاهوتية والروحية"[2].

فهل فعلا شهد القرآن لألوهية المسيح عليه السلام؟

للإجابة عن هذا السؤال يجب الانطلاق من الآيات الخاصة بإطلاق لفظ الكلمة على المسيح وهي:

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[3].

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [4].

- "أديان العالم"، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة، ص: 286 (1)
- "مسيح القرآن ومسيح المسلمين"، أ. جوزف قزَي، دار لأجل المعرفة، ديار عقل لبنان، ط2006، ص: 52(2)
- سورة آل عمران: 45(3)
(4) سورة النساء:171.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسير الآية الأولى: "والكلمة مراد بها كلمة التكوين. ووصف عيسى بكلمة مراد به كلمة خاصة مخالفة للمعتاد في تكوين الجنين أي بدون الأسباب المعتادة"[1]. وبتعبير أدق يضيف الألوسي: "ومعنى كونه "كلمة" أنه حصل بكلمة "كن" من غير مادة معتادة، وإلى ذلك ذهب الحسن وقتادة. وقال الغزالي قدس سره: لكل مولود سبب قريب وبعيد، فالأول المني والثاني قول "كن"، ولما دل الدليل على عدم القريب في حق عيسى عليه السلام أضافه إلى البعيد، وهو قول كن إشارة إلى انتفاء القريب، وأوضحه بقوله سبحانه: أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ أي أوصلها إليها وحصلها فيها، فجعله كالمني الذي يلقى في الرحم فهو استعارة، وقيل: معناه أنه يهتدي به كما يهتدي بكلام الله تعالى، وروي ذلك عن أبي علي الجبائي، وقيل: معناه بشارة الله تعالى التي بشر بها مريم عليها السلام على لسان الملائكة كما قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾[2].

فتفسير الآية يؤكد أن المسيح ليس هو الكلمة، وإنما حصل بكلمة كن وليس المسيح هو الكلمة. يقول الله تعالى:

- قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ[3]. ثم قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [4].

ولا بد من التركيز هنا على نقطة أكثر من مهمة، وهي قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ يقول الشيخ رشيد رضا: "يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده هي ولد لك اسمه المسيح عيسى بن مريم، ثم قال مستدلا على هذا ما نصه: اسمه المسيح فَذَكَّرَ وَلَمْ يَقُلِ " اسْمُهَا " فَيُؤَنِّثَ وَ " الْكَلِمَةُ " مُؤَنَّثَةٌ، لأن

---

(1) "التحرير والتنوير"، محمد الطاهر بن عاشور، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ط1984، ج3، ص: 245.

(2) "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1415 هـ، ج3، ص: 199.

(3) سورة آل عمران: 47.

(4) سورة آل عمران: 58.

الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان، وإنما هي بمعنى البشارة"[1].

فالكلمة مؤنث وتعني البشارة، وهذا أقوى حجة للرد على المسيحيين، لأنهم كانوا يستعملون صيغة التذكير في حديثهم عن الكلمة، هذا مع العلم أني قد بينت أن المقصود بها عندهم وانطلاقا من مصادرهم أن الكلمة في يوحنا تخص كلمة التكوين.

أما تفسير الآية الثانية: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾. ففي هذه الآية نهى جل جلاله عن الغلو في الدين يقول ابن كثير عن ذلك:" أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلها من دون الله"[2]. وعن قوله سبحانه: "وَكَلِمَتُهُ" يقول الإمام الطبري: "فسماه الله عز وجل "كلمته"، لأنه كان عن كلمته، كما يقال لما قدّر الله من شيء: "هذا قدَرُ الله وقضاؤُه"، يعنى به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث"[3]. في هذه الآية أيضا تكلم الله عن الكلمة بالتأنيث وليس التذكير فقال: ألقاها وليس ألقاه، والمسيحيون يذكّرون الكلمة.

وعن قوله: (وروح منه)، يفسرها ابن عاشور بقوله: "ومعنى كون عيسى روحا من الله أن روحه من الأرواح التي هي عناصر الحياة، لكنها نسبت إلى الله لأنها وصلت إلى مريم بدون تكون في نطفة فبهذا امتاز عن بقية الأرواح. ووصف بأنه مبتدأ من جانب الله"[4].

وقوله (منه) ليست للتبعيض، يقول ابن كثير: "من خلقه ومن عنده، وليست "من" للتبعيض، كما تقوله النصارى - بل هي لابتداء الغاية.. وقد قال مجاهد في

---

(1) "تفسير القرآن الحكيم"، محمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1990، ج2، ص: 251.

"(2) تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999، ج3، ص: 159.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ج6، ص: 411

(4) "التحرير والتنوير"، ابن عاشور، ج6، ص: 52

قوله: (وروح منه) أي: ورسول منه. وقال غيره. ومحبة منه. والأظهر الأول أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف"[1].

ويذكر الإمام الألوسي قصة حول الروح فيقول: "يحكى أن طبيبا نصرانيا حاذقا للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، وتلا هذه الآية، فقرأ الواقدي قوله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ) الجاثية:13. فقال: إذن يلزم أن يكون جميع الأشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فأسلم"[2].

إذا فالقرآن الكريم لم يشهد بلاهوت المسيح عليه والسلام، وأن المقصود بالكلمة هي كلمة التكوين "كن"، أي بالأمر الإلهي خلق وولد المسيح من غير أب. هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك آيات أخرى تهم هذا الموضوع إلا أن المسيحيين يتجاهلونها عن قصد؛ لأنها لا تخدم هدفهم. وهذا منهج غير سليم في البحث العلمي. وهذه بعض الآيات التي تبين حقيقة الأمر:

الآية الأولى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[3].

الآية الثانية: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)[4].

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم- حسب تفسير الطبري: "قل لهؤلاء الجهلة من النصارى: لو كان المسيح كما تزعمون أنّه هو الله، وليس كذلك

---

(1) "تفسير القرآن العظيم"، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999، ج2، ص: 479

(2) "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، ط1، 1415، ج3، ص: 200

(3) سورة المائدة: 19.

(4) سورة المائدة: 74.

لقدر أن يردَّ أمرَ الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه. وقد أهلك أمَّه فلم يقدر على دفع أمره فيها إذْ نزل ذلك. ففي ذلك لكم معتَبرٌ إن اعتبرتم، وحجة عليكم إن عقلتم، في أن المسيح بَشَر كسائر بني آدم، وأن الله عز وجل هو الذي لا يغلب ولا يقهر"[1]. هكذا فسر الإمام الطبري الآية 19 من سورة المائدة، التي أكد الحق سبحانه وتعالى من خلالها أن المسيح بشر كسائر البشر وليس هو الله كما يعتقد المسيحيون.

كما أن الآية 74 من المائدة بالإضافة إلى تأكيدها للآية السابقة، فقد أوردت قول الله على لسان المسيح عليه السلام دعوته بني إسرائيل إلى عبادة الله، كما تشهد الآية:

يقول جل شأنه: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[2].

من خلال هذه الآيات يتضح بما لا مجال للشك أن القرآن الكريم يقرر بأنه من يعتقد بأن المسيح هو الله فهو كافر، وعليه فالقول بشهادة القرآن لألوهية المسيح غير صحيح كما تبين الآيات القرآنية التي تغاضى المسيحيون عن ذكرها.

الآية الثالثة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[3] .

من خلال هذه الآية يطرح السؤال التالي: هل فعلا هذه الآية تنطبق على المسيحيين أم لا؟ وهل فعلا هم يعبدون المسيح وأمه؟

يحاول المسيحيون التهرب من هذه الآية ويقولون إنها لا تنطبق عليهم وإنما هي خاصة بطائفة واحدة هي طائفة المريميين، يقول عزت أندراوس تحت عنوان: "هرطقات بالقرآن الهرطقة المريمية (المريمين): بدعة أو عقيدة المريميين الهرطوقية أي عبادة مريم عقيدة مخالفة للمسيحية لأن الإنجيل لم يذكر أي آية أو نص بعبادتها وتقديم قرابين أو تضحيات أو صلوات إلهية لها. ولكن الله ذكر عبادتها في القرآن. وكانت هذه الفئة القليلة العدد الضالة منتشرة من تركيا حتى الجزيرة

(3) "جامع البيان في تأويل القرآن"، الطبري، ج10، ص: 147.

(2) سورة المائدة 74.

(3) سورة المائدة: 118-119.

العربية وصلت بفكرهم العقيدي إلى تأليه السيدة العذراء وعبادتها فيقدمون لها أنواعا من الفطائر وأقراص العجائن"[1].

ويقول عنهم ابن البطريق: "فمنهم من يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية ويسمون المريميين"[2].

من خلال القولين يظهر أن القرآن تحدث عن طائفة البربرانية والتي تعتبر طائفة مهرطقة وثنية عند الطوائف الأخرى. فهل الأمر كذلك؟

إن الخطاب القرآني يشمل كذلك الكاثوليك والأرثوذكس يذكر الشيخ رشيد رضا فيما قرأ عن عبادة مريم قوله: "وأول نص صريح رأيته في عبادة النصارى لمريم عبادة حقيقية ما في كتاب (السواعي) من كتب الروم الأرثوذكس، وقد اطلعت على هذا الكتاب في دير يسمى (بدير البلمند) وأنا في أول العهد بمعاهد التعليم. وطوائف الكاثوليك يصرحون بذلك ويفاخرون به، وقد زين الجزويت في بيروت العدد التاسع من السنة السابعة لمجلتهم (المشرق) بصورتها وبالنقوش الملونة إذ جعلوه تذكارا لمرور خمسين سنة على إعلان البابا بيوس التاسع أن مريم البتول "حبل بها بلا دنس الخطية" وأثبتوا في هذا العدد عبادة الكنائس الشرقية لمريم كالكنائس الغربية، ومنه قول (الأب لويس شيخو) في مقالة له عن الكنائس الشرقية: إن تعبد الكنيسة الأرمنية للبتول الطاهرة أم الله لأمر مشهور" وقوله " قد امتازت الكنيسة القبطية بعبادتها للبتول المغبوطة أم الله"[3].

وقد ينكر الكاثوليك والأرثوذكس هذا الأمر بدليل أن تفسير المنار لا يعترفون به، ولهذا من الضروري الرجوع إلى مراجعهم.

- بالنسبة للكاثوليك: يقول صموئيل بندكت: "تصلي الكنيسة الكاثوليكية لله ولكنها تصلي لمريم أكثر مما لله"[4].

- بالنسبة للأرثوذكس: يقول متى المسكين: "محاولة فهم قداسة العذراء أو تكريمها كشخصية مستقلة عن المسيح شيء مستحيل"[1]. أي مريم مثل المسيح ومن ثمة فتقديسها بمعزل عن المسيح مستحيل.

---

(1) http://www.coptichistory.org/untitled_4066.htm

(2) "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق"، البطريرك أفتيشيوس المكنى بسعيد ابن بطريق، طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين 1905، ص: 126.

(3) "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، رشيد رضا، ج7، ص: 220.

(4) "العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس"، صموئيل بندكت، ترجمة القس يعقوب قاقيش،(هذا الكتاب يكشف التعاليم الغير صحيحة في عقائد الكنيسة الكاثوليكية من وجهة نظر بروتستانتية) ص: 16.

ويضيف آخر قائلا: "فتأليه العذراء وبالتالي عبادتها هو النتيجة الحتمية لتلقيبها بلقب"والدة الإله" لأن هذا اللقب كان يرتبط في أذهان القدماء بالألوهية "فأزوريس" والدة الإله "حورس" كانت إلهة تعبد مثل ابنها الإله حورس عند المصريين القدماء لذلك عندما دخلوا المسيحية استبدلوا صورتها وهي تحمل ابنها حورس بصورة العذراء وهي تحمل ابنها المسيح ويشهد علي ذلك التطابق بين الصور(الأيقونات) القديمة لكل منهما كما تؤكد ذلك المؤرخة الأرثوذكسية ايريس حبيب المصري في كتابها "ظل الخيرات العتيدة"[2].

فهذه الكاتبة الأرثوذكسية تؤكد أن عبادة مريم ترجع إلى أصل وثني أي ديانة المصريين القدماء.

وبهذه الأدلة فالقرآن لم يتكلم من فراغ، وإنما هي الحقيقة أن المسيح وأمه يعبدهما المسيحيون، وليس الأمر خاصا بطائفة المريميين بل يشمل الأرثوذكس والكاثوليك وهذا بشاهدة كتاب مسيحيين، وهي عبادة ترجع إلى الوثنية.

وأرجع إلى قوله: (أأنت قلت للناس)، وليس معنى ذلك أن الله يجهل ذلك، بل -حسب الطاهر بن عاشور– "الله يعلم أن عيسى لم يقل ذلك ولكن أريد إعلان كذب من كفر من النصارى"[3].

كما أن رد المسيح كان أكثر أهمية وهو تنزيه لله عن الشريك، يقول الشيخ رشيد رضا: "إن عيسى عليه السلام بدأ جوابه بتنزيه الله عز وجل عن أن يكون معه إله، فأثبت بهذا أنه على علم يقيني ضروري بأن الله تعالى منزه في ذاته وصفاته عن أن يشارك في ألوهيته، وانتقل من هذا إلى تبرئة نفسه العالمة بالحق عن قول ما ليس له بحق، فقال: (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي ليس من شأني ولا مما يصح وقوعه مني أن أقول قولا ليس لي أدنى حق أن أقوله؛ لأنك أيدتني بالعصمة من مثل هذا الباطل"[4].

فالمسيح عليه السلام لم يقل أي شيء من عنده سوى ما أمره به الله وهي عبادته جل في علاه، يقول الله على لسان المسيح: مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ.

---

(1) "العذراء القديسة مريم"، الأب متى المسكين، ط3، 1993، مطبعة دير القديس أنبار- واد النطرون، ص: 67.

(2) "بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الأثوذكسية"، حنين عبد المسيح، ط1، 2009، ص: 56.

(3) "التحرير والتنوير"، ابن عاشور، ج7، ص: 12.

(4) "تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، رشيد رضا، ج7،ص: 222.

الآية الرابعة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

في هذه الآية أيضا يؤكد المسيح أنه رسول إلى بني إسرائيل، ويوجد في الإنجيل ما يؤكد هذا فقد ورد في متى قوله: (فَأَجَابَ وَقَالَ: لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ)[2].

هذه هي حقيقة ما أخبر به القرآن الكريم وهي أن المسيح نبي أرسله الله إلى بني إسرائيل، كما أن المسيح اعترف بذلك، وأن دعوته عليه السلام كانت دعوة إلى عبادة الله وحده عز وجل دون شريك. وليس كما يقول بعض المسيحيين الذين يحرفون سياق الآيات القرآنية عن معناها لكي يثبتوا شهادة القرآن بالألوهية للمسيح؛ إلا أن وضوح الآيات القرآنية وتناسقها ودقة تعبيرها حالت دون وصولهم إلى مبتغاهم رغم اعتمادهم منهج التدليس.

---

(1) سورة الصف: 6.

(2) متى15/24.